الصراع بين نقرات الحاسوب وارث الكتاب والورقة

وجهة نظر

باسم عبد الحميد حمودي

في مقابلة مع احد ابرز ناشري الاقراص المدمجة الحاوية على (مكتبات) من القواميس والمعاجم وكتب السيرة.. الخ قال فيها انه يساير العصر بالحصول على حقوق الطبع من المؤلفين بطبع كتبهم عبر الحاسوب حيث يقوم بتسويقها بهذه الطريقة التي تكفل سرعة الاطلاع، انه مع ذلك يبيع الافا من نسخ الكتب المطبوعة العادية فهو أساساً صاحب مكتبة قبل ان يساير عصر الحاسوب.

وقال اكثر من ناشر بعد هذا ان عالم الكتاب الورقي سيظل عالماً قائماً وضرورياً مثل ضرورة وجود المذياع الى جانب المحطات الفضائية ووجود السينما الى جانب افلام ومسلسلات الشاشة الصغيرة فلا شيء يلغي عمل انتاج اخر من جهة اخرى فان شركات الحواسيب الفرنسية تجد الان صعوبة في الوقوف بوجه شركات الحاسوب (الناطقة) بالإنكليزية، ذلك ان كمية ما يضخ عبر شبكات الانترنيت من معلومات وكتب ومواقع لصحف مؤسسات وافراد بالانكليزية اكبر بكثير من الجهد الفرنسي في هذا المجال وهي صعوبة تتخذ أبعاداً أوسع تتعلق بالصراع بين الانكلو-ساكسونية والفرانكفونية التي تتمظهر (احياناً) في صرخات اقليم كويبك بالفرنسية ضد باقي كندا الانكليزية، لكن هذا موضوع آخر لا علاقة له بالحاسوب.

ان طموح الحاسوب لا يكون بديلاً عن الكتاب وعن الموسوعة ذات المجلدات تكتنفه عقبات عاطفية رغم وصوله الى عدد اوسع من غرف المكتبات الفردية كما ان وجود لغات اخرى غير الانكليزية المنتشرة والفرنسية الاوروبية الشرق اوسطية يشكل صعوبات مضافة والسؤال البرئ هنا الذي نطرحه على انفسنا هو: هل سجل القرص المدمج والمونيتر محل الكتاب والمجلة ويكون المتنبي مجرد حروف على شاشة؟ صحيح انك تستطيع ان تطبع من الشاشة ما تريد على ورقة ايضاً لكن ورقة الحاسوب المطبوعة ليست مثل ورقة الكتاب.. انها وحيدة جامدة لا تنبض بدفء حياة الكتاب. مع ذلك فالحاسوب يساعد على الوصول الى الحقائق بسرعة ويختصر وقتك في جمع المصادر عن قضية ويطلعك على احدث الاخبار والوقائع إذا دخلت به على قناة فضائية او شبكة ولكن ذلك كله لا يلغي حيوية الكتاب وملمسه بين يديك واحساسك الشخصي بالتملك والحفظ والتأشير على المطبوع واعارته لصديق او استعارته.

اقصد ان ثمة حميمية في كل ذلك وان ارثاً من العادات قد تراكم منذ ان كان الكتاب والورق وفي كل بقاع الارض فهل اصبح المونيتر وتكتكة اليد على (الماوس) هو البديل؟ ربما ولكن الكثير من العادات وأساليب القراءة سيتغير، ستختفي اللمسة الانسانية الحانية على الكتاب وتعلقيات القارئ وهوامشه الخاصة وتحل محلها ضربة الاصبع العملية بالنقر على (البورد) و(الماوس)، وسيغدو- او قد غدا التعامل مع آليات القراء الجديدة اكثر صرامة واكثر بروداً.

وبصراحة، لا اجد من الصالح ان تزول كل المكتبات العامة الكبيرة الشخصية وتتحول ابنيتها الى مجرد رفوف مفهرسة الكترونياً ودسكات ترسل معلوماتها الى حواسيب كل شركة ومنزل بمجرد النقر على المجلد والمختار بغاية من اجل سعادة وثقافة الفرد وسيظل الصراع مستمراً دون شك بين الدسك والورقة.

القـراءة ومـأزق التحـول

أ.د. عقيل مهدي يوسف

هل يتعرض "القارئ" الى المنع والمصادرة، مثل حال "الكتاب"؟

وهل يجبر- احياناً- في ظل سلطة القمع على اعلان افكار يمقتها هو شخصياً؟

بين السكوت والتصريح، يتذبذب موقف القارئ مثل الكاتب، الذي يركب مركبا صعبا، متشبثا بحريته التي يترصدها القائم بالامر.

وقول - بارت- يأتي في هذا السياق:

"ليس النظام الفاشي في رأيي هو من يمنع الانسان عن الكلام، بل هو خصوصاً من يجبره على الكلام" ص(٦٢)

تحمل الكاتب ومازال حرية قد تقوده الى التهلكة، في سبيل إشراك المتلقي في تجربة أبداعية، اكبر من مقاييس الأيدلوجيات قاطبة.

وقد تبرز في طريقه اساليب ردع مختلفة، من قبل اولئك الذين يظنون بأنفسهم الكمال! وقدرة إنفاذ الحكم.

فيتعرض الكاتب ونصه الى الادانة الاخلاقية، والى الملاحقة القضائية، بل التحريض على تصفيته، وتسفيه قيمته الانسانية.

ولكن هل كان القارئ، ولا يزال، يؤثر العافية؟ مكتفياً بإلقاء تبعة ذلك الجرم القرائي على الكاتب، الذي ورطه في مأزق النص المحرم تناوله او تلمسه والاحتكاك به!!

نتذكر، حرائق الكتب، خوفاً من مداهمة البوليس، وكأنك طالما اقتنيت هذا النمط من الكتب، فانت متهم بلا استئناف. وبعيداً عن مسؤولية الكاتب تجاه مجتمعه وعصره، فان (الكتابة) تتعلق بمستقبل الادب نفسه.

وكلما روجت للمتخلف من الأفكار، كلما خانت حريتها الإبداعية، وفتحت ابوابها مشرعة، لمسيرة الاشباح الظافرة!!

تنبه بارت مثل غيره من المفكرين في الشأن الفني والادبي الى ضرورة قلب (الميثة):

" فمولد القارئ ينبغي ان يكون على حساب المؤلف" (ص١٤٤)

طالما انك تقرأ، فانت تغيب الآخر، بتحسس ذاتك فيما تجده ماثلاً أمامك في النص، فلا يعود الكاتب هو الآخر المنفصل، بل يجري"تذويت" النص، من خلالك، وكانك تستنطق نفسك، وتمتحن قدراتك، ومفهوماتك المعرفية والوجدانية والسلوكية بهذا النهوض الذاتي في مواجهة النص، لم يعد للمؤلف وجود.

واتجاهات القراءة، تختلف، تاريخياً، واجتماعياً، وترتبط بالذات المتلقية.

ولكل نص، مصدره التاريخي هانس روبرت جوس، يسميها " أفق انتظار" محمود ثقافياً بالعملية الاجتماعية التاريخية.

أي بالبعد الخارجي الذي يجعلنا ننتظر من الانواع الابداعية في الفن والادب اعرافاً خاصة، لا نحيد عنها، في نزعة احترازية للحفاظ على الموروث في حقوله الثابتة والخاصة. وقد يتمدد (أفق الانتظار) او يتقلص او حتى يكسر عند كبار المبدعين الذين يتمردون على القوالب القارة التقليدية، ومن هنا ايضاً تأتي جدارتهم.

وقد تقترب هذه العملية في التلقي ببعد خارجي ايضاً يتعلق بالبنية اللغوية نفسها، وكذلك ببعد آخر داخلي، يتعلق بشخصية القارئ وموسوعيته، التي توصله الى منطقة حرجة هي منطقة التأويل، التي وصفها (امبرتو ايكو) بالنقطة التي يلتقي فيها قصد الكاتب وقصد القارئ.

وربما لا يكتفي القارئ المثقف عند (جيرار جينيت) بالنص الذي يتعامل معه الآن. بل تراه متجاوزاً لمفهوم هذا النص ويصل الى علاقة خفية او ظاهرة، تضع النص مع سواه من النصوص التي يرتبط بها بوشائج خاصة.

والاجتماعي الذي يرتبط مع"ذات" القارئ وما المصادر، سوى رصد لتلك الطرق التي تمثل القراءات وامتدادها في الكتابة، أي انها تفصح عن طبيعة ذلك المتلقي الذي تخاطبه. ولهذا اختلفت الانواع الكتابية والفنية.

وتبقى سكونية الكتابة، وحدودها البينة، مرتبطة تماماً بحركية القراءة، المفتوحة، والتقديرية.

فلا يوجد معنى حقيقي للنص - حسب فاليري.

فالشعر تناوب دائم بين الصوت والمعنى.

وتبقى آوالية الكتابة متجهة تماماً الى المتلقي، فلا وجود لنص متعال، مكتف بنفسه، ولا حتى لكل تجربة فنية من دون متلق او جمهور، يفسر النتاج، ويحققه فعليا.

كان الاستاذ " د.عناد غزوان" حينما يختبر طلابه في الآداب يقرأ نصوصه، قراءة متقنة، فيحوز الطالب النابه على نصف التفسير في اجابته بورقة الامتحان.

من خلال هذا التنغيم بصوت عال من قبل الاستاذ، الذي يتناوب فيه الصوت والمعنى حسب فاليري كما اسلفنا وقد يختار الكاتب الروائي والدرامي حتى انماط الشخصيات وهو يستوحيها من الممثلين او الاصدقاء والمعارف انفسهم.

كان - مثلاً- فيكتور هيجو (١٨٠٢-١٨٨٥) يختار ممثلين يجسدون تجديده الرومانطيقي، مثل تعامله مع (ماري دوفال) و (بوكاج) ولكنه- ايضاً- اختار ممثلة، ليست لها شهرة، مثل (جوليت دوريه) لاسباب حميمة تخصه شخصياً.

ومع هذا يبقى النص مثقوباً، اذ ترى (آن اوبرسفيلد) ان التلقي يبقى متعدداً للنص الواحد، الذي لن يكتمل او تؤدى احتمالاته كافة في عرض محدد! ذلك لان الذات تستقطب الى محورها الآخر، وسبق لـ(اندريه جيد) ان صرح: ان اقرأ، ان اقرأ الآخر، معناه دائماً ان اعيد تحديد ذاتي .. أي انه تحول بعد القراءة الى آخر جديد، ما كان عليه حاله هذا، بمثل ما كان قبل احتكاكه بالاخر من خلال القراءة.

هوامش:

انظر

ايما نؤتيل فريسي- برنار موراليس

قضايا ادبية عامة

عالم المعرفة - الكويت :٢٠٠٤

(صخـــرة القيــامــة)

شعر- حمد شهاب الانباري

وأنتمو... يا أيّها الأعداءُ.. يا أعوانَ قلبي.
يا ألماً ينوء كالغول على ضفافيْ.
يا حجراً يشعل لي قيامة الجسد.
ويا يداً تمتد في مسارب الأرض الى الأقاصي.
توغلي.....
أن فجاجَ العالمِ الديْجورْ....
مملوءة بالحجرِ الخشنِ وبالوحولْ.
لتبتدي فاتحةُ الخلاصِ.
....
لو انَّ قلبي الهرمَ اللعينْ.
يكون مثل غيمةٍ طيعةِ القيادْ.
كي تبرد النار التي احرقتِ النزيفْ...
بجمرةِ القتادِ*
واغسلُ الروحَ وآثامها...
من عرقِ الجبين.
......
كصخرة القيامةِ.
ذا زمني اليابسُ هذا الزمن الرديءْ.
شيبني ولم أزل في ميعة الصبا ولم يزل اهابي.
مثل نبيّ جاء من أعلى عليينَ وفي يديهْ...
معُجزةُ الكتابِ.
....
الزمنُ الائكدُ ... هذا الزمنُ الموبوءُ بالمحنةِ والضياع.
ضيعني فضاعتِ القصيدةُ العصماءُ من يدي.. ضاع العمر... ضاع الألقُ الوردي.
وضاعت الفتنةُ في العينين.
الزمنِ اليابس مثل صخرةِ السجيلْ.
وبأس "ذي القرنين".
....
لو انني وهذه خاتمة المطافْ.
أسطيع أن أمشي على الماء وأقطعُ الضفافْ.
لسرتُ مثلِ المركبِ، السكران هائماً ولجةُ الماءِ تدلني أين مدار القطب-
اين العقدةِ المحكمة الشدّ على الخليقةْ.
لكي أقولِ: من هنا يبتديء البدء-
وفي تراب هذي الأرضِ تورقُ الحقيقة.

* القتاد: نبات شوكي وجمره معروف بقوة ناره وحرارته.

بعد أن أنهكته الحرب وغلبته مقاهي وسط البلد
محاولات خجولة لاستعادة مجد شارع الحمرا

بسمة الخطيب

"شانزليزيه العرب". هكذا عُرف شارع الحمرا البيروتي أيام مجده. يوم كان منارة بيروت ومركز ثقلها التجاري والثقافي والفني والسياحي. يوم خطف الأضواء من ساحة البرج ووسط المدينة. يوم ولدت على رصيفه وفي مقاهيه حركات ومدارس ثقافية وفكرية وقصده العرب من كلّ مكان، باحثين عن مساحة حرية وإبداع.

هكذا كان يوماً. عشية الحرب اللبنانية. اليوم بماذا يفيدنا تذكّر ذلك الماضي؟ لا شيء سوى الحسرة والندم.

اليوم نسأل عن الحاضرالذي آل اليه شارع الحمرا. ما هو واقعه وإلى أي مستقبل يسير؟

بجملة ترافقها تنهيدة ألم يلخص الشاعر عصام العبدالله شارع الحمرا: "الحمرا الذي كان مستقبل بيروت صار ماضيها"، ويصمت. يركن إلى زاويته الأثيرة في مقهى "الكافيه دوباري" ويراقب المارّة. يراقب دواخلهم ومشاعرهم، دواخل الشارع ومشاعره.

المتواجدون في الحمرا ليسوا متواجدين حقيقيين. إنهم عابرون فقط. يقصدون الحمرا لشراء سلعة ويفرّون. لا ينجح الشارع في إجلاسهم، واستبقائهم فيه. تقفل مقاهي المثقفين تباعاً وقبلها أقفلت المسارح وصالات السينما وتنتقل معالم أخرى، إلا أنّ شرطيّ السير المتمركز وسط الشارع يتابع النفخ في صفّارته، آمراً السيارات أن تتقدم نحو الجامعة الأميركية غرب الشارع أو التي تقصد المنارة أو غيرها.

شبّه شارع الحمرا يوماً بالأنثى الذكية التي تبدّل ثيابها وفق المناسبة، لتكون المرأة المناسبة في المكان والزمان المناسبين، مواكبةً التغيّرات الديموغرافية الاجتماعية والثقافية... اليوم لم تعد هذه المرأة الذكية قادرة على التأقلم. لقد أُنهكت وشاخت كما يشيخ كلّ كائن حيّ وكل مكان حيّ. لكن تبرز بين وقت وآخر محاولة خجولة لإسعافها هنا، أو مشروع منقوص لتجديد شبابها هناك... فهل يجدي كلّ هذا، أم ان الشارع يحتاج إلى مشروع متكامل وإلى ظروف وطن بأكملها كي يعود كما كان قبل الحرب.

عوامل فرادة "الحمرا"

نرى أن نبدأ من القاعدة التي ارتفع عليها بنيان الشارع وهيكله المتين في الماضي. كانت أسباب عدّة قد اجتمعت في الماضي لتحقّق ازدهار شارع الحمرا، منها مجاورته للجامعة الأميركية وبالتالي تمركز الأساتذة والطلاب ثم الأطباء في جواره وفيه، ومجاورته لمدرسة الصنائع والفنون الجميلة، كذلك تواجد المسارح (وصلت إلى ١٥ مسرحاً منها البيكاديللي الساروﻻ وجان دارك...) وصالات السينما مثل الاسترال والألدورادو وسينما الحمرا ... والمقاهي التي كان أولها مقهى "الهورس شو"، الذي أخذ طابع ما يسمى بمقهى المثقفين والسياسيين، تبعهته مقاهي الأكسبرس ومانهاتن والكافيه دو باري والمودكا والوينبي... كما تمركزت في الشارع المكتبات، منها "أنطوان" و"النجمة" ونوفل" و"المكتبة الوطنية"... ولا نغفل دور الأزياء والمحال التجارية ذات الأسماء العالمية.

مع بدء الحرب اللبنانية عام ١٩٧٥ بدأ حال الشارع كما حال البلد بأسره يتحوّل. دخلت الحرب إلى الشارع مع ميليشياتها ورجالها وبنادقهم وأحذيتهم العسكرية... فلوّنت الشارع بألوانها القاتمة وراحت المعالم الثقافية والتجارية والفنية تقفل واحدة تلو الأخرى.

عام ١٩٢٨ انطلقت شرارة المقاومة الوطنية من على رصيف الحمرا، عندما أطلق المناضل خالد عدوان رصاصات على جنود اسرائيليين يحتسون القهوة في مقهى الوينبي.

خلال الحرب صمدت جريدتا "السفير" و"النهار" على مداخل شارع الحمرا وأعطتاه دفعاً للصمود وما زالتا إلى اليوم. يقصد أهل الكتابة والفكر والسياسة والثقافة الجريدتين عابرين بالشارع أو مستريحين فيه، لكن بانتهاء رتوش الترميم الأخيرة لمبنى "النهار" في وسط المدينة ستبقى "السفير" وحيدة في جوار الشارع.

التجارة تهزم الثقافة

اليوم تمضي سنة ونصف على اقفال مقهى المودكا وإحلال متجر ملابس مستوردة مكانه. لم يبق شيء من صدى الأصوات التي نددّت بإقفال المقهى... ركَن الجميع إلى الاستسلام والإيمان بأن الأماكن تتغير في سنّة أبدية، وأن روّاد المقهى تبدّلوا وتغيّروا، وأنه لم تعد هناك ثقافة أصلاً ليكون لأهلها مقهى ولمقهاها روّاد.

أما الكافيه دو باري فباق يشيخ في عتمته. بدوره كان يمكن أن يتحوّل إلى متجر أحذية، إلا أن رخصته تمنع تغيير وجهة استثماره واستخدامه. لذلك فهو باقٍ يشيخ أو مقبل على اقفالٍ قد يطول. لكن الوينبي يبدو أفضل حالاً فقد انتقل زوار المودكا اليه، والمقهيان كانا متقابلين جارين تفصل بينهما نقطة المرور ويجمعهما شارع تزدحم فيه السيارات وتعطي للمكان نبض المدينة الحقيقي.

عن الوينبي يقول الشاعر يحيى جابر أنه المكان الذي يقصده كلّ شاب يطمح إلى ان يكون شاعراً، فهو المدخل إلى عالم الشعر والثقافة، وهو الذي يجمع أكبر عدد من الكتاب والمثقفين اليوم في الشارع. لذلك يبدو الوينبي أكثر حياة، لكن هل سيصمد طويلاً. سؤال للمستقبل.

أما لماذا لم يعد جابر يقصد الوينبي أو الحمرا ككلّ فيقول أن السبب عائد إلى تغيّر مكان عمله وتغيّر أصدقائه وتغيره هو شخصياً، ويضيف: "مع الزمن تتغيّر احتياجاتنا وأهواؤنا، اليوم أرغب أكثر بشرب القهوة في مطعم "الجندول" في شارع "المزرعة" لأنه قرب مكتب عملي وأضرب المواعيد لأصدقائي هناك...".

من جهة أخرى أعيد تجديد وافتتاح مقهى "الهورس شو". لكنه لم يعد كما كان، بل صار مطعماً لا مكاناً للنقاشات الثقافية والجمهرات الفنية. يقول أحد مديري "الهورس شو" إن الموسم هذا الصيف كان جيداً، وإن المقهى شهد حركة لا بأس بها، كما يشيد بما قامت به بلدية بيروت من تأهيل للأرصفة والشارع والإنارة...

تمضي البلدية في خطتها الرامية إلى تنشيط الشارع، وأهمّ ما فيها تحويل جزء منه إلى شارع للمشاة ومنع السيارات من عبوره تخفيفاً لزحمة المرور، مما يذكّرنا بشوارع وسط البلد.

كما رعى رئيس مجلس الوزراء اللبناني رفيق الحريري افتتاح مهرجان شعبي تراثي تجاري في شارع الحمرا خلال هذا الصيف استقطب السواح وإن عانى مشاكل تنظيمية كثيرة، إلا أنه كمحاولة أولى يستحقّ التشجيع كي يتكرّر في الموسم القادم بنسخة أفضل.

يبيع نعيم صالح الجرائد والمجلات على رصيف شارع الحمرا منذ ٢٥ سنة، ويرى أن الشارع قد هرم، انخفضت نسبة القراء وشراة الصحف في زمن التلفزيون والانترنت. الناس يفضلّون مقاهي وسط البلد اليوم ومقاهي فردان لأنها أحدث وأكثر عصرية لكنهم بعد فترة سيملّون منها ويقصدون شوارع ومقاهي جديدة لكن الحمرا لن يعود كما كان فلا شيء يعود إلى الوراء. هكذا يرى صالح.

يمرّ الشاعر السوري حسين بن حمزة بالشارع الذي عشقه وهو بعد في بلاده (سوريا) وسافر إلى لبنان لأجل أن يراه، لكثرة ما سمع عنه. كان حسين مبهوراً بشارع الحمرا يوم وصل اليه. اليوم يمرّ به وبمقاهيه بين فترة وأخرى، ومهما غاب وأخذته المشاغل يعود، ويستغرب كيف يحكى عن موت الحمرا بينما من يتحدثّون عن هذا الموت يقصدون الشارع ويتنفسّون هواءه وغباره أيضاً!؟ يضيف: "جميعهم يقولون إن الحمرا انتهت ولكنهم يصرون على الذهاب اليها. الحمرا لم يكن شارعاً كان فضاء يتسع للجميع، للفنانين والمسرحيين والساهرين والكتّاب والسواح والمتسوقين... لكنّه تحول إلى سوق، معظم قاصديه من فئة واحدة هي المتسوّقين. انتقلتُ من الحمرا وفق ضرورات عملي، لكنني لم أستطع أن أسكن بعيداً. اخترت منزلاً قريباً من الحمرا. فهذا الشارع يبقى مكاناً لتجديد الأحلام والذكريات وليس لقتلها ودفنها. هكذا أحبّ أن أراه".

مسرح الساروﻻ سيعود

إذا كانت هناك بوادر أمل ما في الشارع فهي ليست بالتأكيد تلك المرتبطة بمسارحها وصالاتها السينمائية. نصفها مقفل بالجنازير الصدئة مثل البيكاديلي والساروﻻ، ونصفها الآخر تحوّل إلى متاجر ملابس وأحذية كسينما الحمرا وسينما الألدورادو... لكن اليأس لم يضرب جذوره فيها، فها هي المخرجة المسرحية الكبيرة نضال الأشقر تشتري مسرح الساروﻻ لتعيد تأهيله وافتتاحه بعد اقفال مسرحها "مسرح المدينة" في شارع كليمنصو، وها هي سينما الأسترال تنفض عنها الغبار وتفتح أبوابها لموسم ثقافي أعلنت عنه يتضمن نشاطات مسرحية وتشكيلية ويؤمل أن يكون فاتحة خير.

الدور السينمائية في الحمرا بلا استثناء تعاني مشاكل كبيرة تجعلها غير قادرة على استقبال الجمهور وغير مقنعة لجمهور يرتاد صالات فخمة مجهزة بأفضل التجهيزات التقنية مثل صالات الأمبير والكونكورد والدون في شتى الأرجاء البيروتية، لذلك أمام دور العرض في الحمرا تحديات كبيرة.

في انتظار معجزة

بعض المحاولات التي شهدناها هذا الصيف تبقى غير كافية لإنعاش شارع الحمرا. يحتاج شارع الحمرا الى المزيد والمزيد كي يستعيد أيام مجده التي سرقتها منه مقاهي فردان ووسط البلد التي تشهد اقبالاً كثيفاً صيفاً وشتاء.

يحتاج الحمرا إلى معجزة تقلب الموازين وتعيد اليه شبابه، أي تسير به عكس الزمن. لكن المراقبين واشد المتفائلين لا يؤمنون بوقوع معجزات كهذه، نظراً لتغيّر الظروف اللبنانية الداخلية الثقافية التي نما في ظلّها الشارع قديماً، ونظراً لانقراض عادة القراء وإفلاس دور النشر والمكتبات... ونظراً لأزمة المسرح في لبنان الذي هو اليوم في كوما قد تطول ولا يستطيع جرّاح أن يسعفه. لكن لنأمل خيراً ونتمنى، فهذا أضعف الإيمان.